شجرة اليقطين

شعر : د. عبدالحميد محمود

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

مفتتح

(كان البغاثُ بأرضنا يستنسرُ)

مَنْ ياترى جعلَ النسورَ بغاثاَ ؟



د. عبدالحميد محمود


لقاءُ الدماء

أسلمتُه يدى

وفى مهارةٍ

بوخزةٍ سريعةٍ لأصبعى

تفجّرَ الدمُ

تراجع الطبيبُ ذاهلاً

أمامهُ نافورةٌ

تفرّعت

تشكّلت

فى الأفقِ .... نخلةٌ

⊛ ⊛ ⊛

أسلمتُهُ يدى

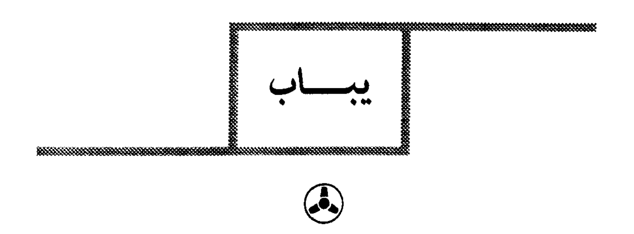
فقبّلَ الدماءَ باكياً

وحين جفَّ دمعُهُ

رأيتُ نخلةً

على شفاهِهِ
تفجّرت

⊛ ⊛ ⊛


يبـــاب

خطوةُ الريحِ على الأرضِ يبابْ
وصراعُ الناسِ ريحٌ

....

خيّم الهمُّ وغاضت لحظةُ الفرحِ الشحيحهْ
مالذى الآن تجمّعْ ؟
فالعناقيدُ تدلّت
ثم ذلّت
فى المدى وانفرطت
فدويلاتٌ تسودْ
ودويلاتٌ تبيدْ
وعلى الأفقِ ضجيجٌ صامتٌ

⊛ ⊛ ⊛

خطوةُ الريحِ على الأرضِ يبابْ
وشجونُ القلبِ ريحٌ

بعد أيامكِ لا اشتاق حبيبٌ لحبيبٍ
لا ولا اشتاقت قلوبٌ لأغاريد القمرْ
كلّما ضاءَ بلحنٍ
أخرسَ اللحنَ وعيدٌ من كوابيسِ الغمامْ
أنتِ عمرٌ ليس من عمرِ الزمانْ
أنتِ وهمٌ
كان فى عمرى وكان ...!!
ليته ما مرَّ بى

☮ ☮ ☮

خطوة الريحِ على الأرضِ يبابْ
وطموحُ النفسِ ريحٌ
....
حجرٌ ؟
أمْ زهرةٌ ؟

أَتَدَلّى فوق مجدٍبعده لا شئ إلاَّ الإنتحارْ ؟
أمْ تدنّى عند قاعٍ تحته لا شئ إلاّ الإنتحارْ ؟
نهمٌ يلهثُ من خلف نهمْ
ودمٌ أسودُ فى حضنِ
دمٍ أحمرْ
إنّهُ الآن سواءْ

....

خطوة الريحِ على الأرضِ هباءْ

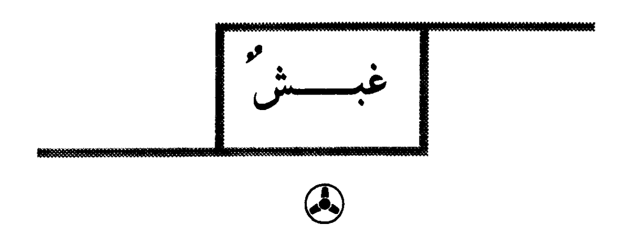
⊛ ⊛ ⊛

شجرة (اليقطين)



ولِدتُ للمواجهةْ
ورغم رقةِ البدايةِ المبشّرةْ
وخسّةِ الذبابِ والبعوضِ والهوامْ
وجدتْ حضنكِ الأمينْ
ياشجر (اليقطين)
يظلّنى
ويطردُ اللئامْ
وظلّ حبُّكِ الدفينْ
ضياءَ لحظتى
ووهجَ خطوتى
فأنتِ من فداء حبّها تهونُ قصتى

۞ ۞ ۞


غبشُ

غبشٌ على وجهِ المدينهْ
وأنينُ غانيةٍ يراودها الحنينْ
ومفاوزٌ صارت كزنجيرٍ طويلْ
مابين حاضركِ المقيّد بالتردّى
والهمومِ .....
... وبين ماضيكِ العفىِّ مفاوزٌ
أوّاهُ من موجٍ ثغا
فتعفّرَ الوجهُ القديمُ
بريح همّكْ
لا البحرُ حين صبَا وغشّاك انتفضتِ
ولا لعصفِ الغدرِ قمتِ
أنثى تقاتلت الجيوشُ لأجل عينيها
وتحطّمَ الصنمُ الكبيرْ
حين استكان جموحُهُ

لوداعةِ الحيّةْ
ما عاد يكتشف الأنوثةَ فى انبهارِ النهدِ
والأنفاس تحرقُهُ
ولا أغراهُ ما فتحت له من سرّها
الأزلىَ موجَهْ
حين استكان لحبّها
ماتت رجولتُهُ

⊛ ⊛ ⊛

(كان البغاثُ بأرضنا يستنسرُ)
مَنْ يا ترى جعل النسورَ بغاثاَ ؟
مَنْ أطفأ العطرَ الذى كان الفنارُ يبثُّهُ ؟
آهِ بجا الرعدُ
فتفسّخَ العقدُ
والأرضُ ذاهلةٌ

مرّ الطغاةُ بها
مَنْ جرجروا معهم ؟

فى نحره يأسٌ
فى قلبه وجعٌ
(اليوم بى وغداً بكم)
وتفجّر الشيخُ
صمتُ المفاوزِ بيننا وجهامةُ الأنواءِ
ما أنتِ غيرُ خليلةٍ
للبحرِ
للقرصانِ
للنورسْ
جسدُ الموانىءِ واحدٌ
جسدٌ مباحْ

قلبْ الموانئ واحدّ
قلبٌ مباحْ

⊛ ⊛ ⊛




رجلٌ / وطن

رجلٌ يحنُّ إلى وطنْ

....

ألشمسُ تلهبُ فَرْحَهُ حتى يغيضْ
وتجفُّ آمال التوحُّدِ من جديدْ
تتشقّقُ الأيّام من طول الوهيجْ
وتظلُّ أنتَ مهاجراً

....

رجلٌ يحنُّ إلى وطنْ

....

مابيننا .. الكثبانُ فى قلب السرابِ ....
... كسورِ سجنٍ لا يحيط به البصرْ
زُبُرُ الحديد عليه وهجٌ منصهرْ
هل ينقضونه ؟
ليتهم

ليُعَادَ تشكيلُ الحجرْ

فيصير جسراً لانطلاقات البشرْ

رجلٌ يحنُ إلى وطنْ

......

تلك العيونُ السرمديّهْ

والناىُ والنهرُ المسافرُ فوق

لحنِ الناى للأرض القصيّهْ

والدارُ والوجهُ المراوغُ خلف شيش المشربيّهْ

والحارةُ الخرقاءُ يغمرها الضجيجُ على السجيّةْ

والناس فى مقهى التّنذّرِ لا تملُ

....

رجلٌ يحنُ إلى وطنْ

......

شردت به الأيّامُ عنكَ

فمالَ فوق عبيرِ أنفاس البيوتِ
وأغلقَ الأشواق حولكَ
وابتهلْ

......

وطنٌ يحنُّ إلى رجلْ

......

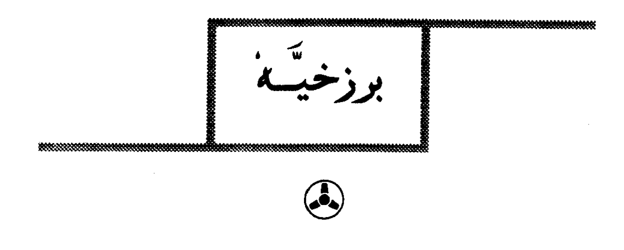
مَنْ طعَّمَ الأشجار فانتبذت على
شكِّ الليالى والمدى ركناً قصيًا ؟
تلك الجذوع الضارياتُ جذورها
فى ألف عامٍ لم تزلْ تمتدُّ فيَّا
من أين تولد يا ترى تلك الغصونُ الأجنبيَّهْ ؟
ألشمسُ يفجؤها الغريبُ ..
... فتستريبُ ...
.. وتلهثُ النيران فى فمها

طغت الغصون الأجنبيّةْ
وأنا أفتّشُ عن شجيراتٍ ذكيّهْ
لكنّ شيئاً فى الدماءِ مضى يفورُ وينتظرْ

....

يا أيّها الغصنُ الذى نرجوهُ فى هذا الزمانْ
الوقتُ حانْ
الوقتُ حانْ

⊛ ⊛ ⊛



برزخيّة

شفّت ورفرفت وأغفت

فوق برزخٍ

هناك لا ضجيجْ

لكنّه يحنُّ «للغليون» والصحابْ

وبعض أنفاس تعبّقُ المكان بالضبابْ

وترسم المدى بزفرتينْ

تميمةً

من أرض مصر لم تزلْ

تثيرُ شهوةَ الذين يسكنون العالمينْ

✇ ✇ ✇

تراجع النهرُ القديمْ

فكلّما اشرأبت الأحلامُ سوروا

أمام حبها جحودهم

هو الذى أباح للأحلام أن

تمرَّ بالرمال حتى ترتوى

ولم يزلْ ،غليونُهُ، يعبِّقُ الزمانَ بالأملْ

غداً

وفرَّ من أصابعِ

الرمالِ

ما أراده غداً

❂ ❂ ❂

ماكنتُ للأشجارِ ظالماَ

......

وحنّت الأنيابُ للدماءْ

وأُشعلت بحقدها القلوبْ

يموتُ أو يموتْ

هذا اختياره الوحيدْ

وأعلن الجلادُ عدله الفريدْ

يموتُ أو يموتْ

❂ ❂ ❂

شقّت ورفرفت وأغفت

فوق برزخ

ولم تزلْ هياكلُ الأشجارِ ترتدى

السوادْ

ولم تزلْ غمامةٌ حمراءُ تصبغُ

الوهادْ

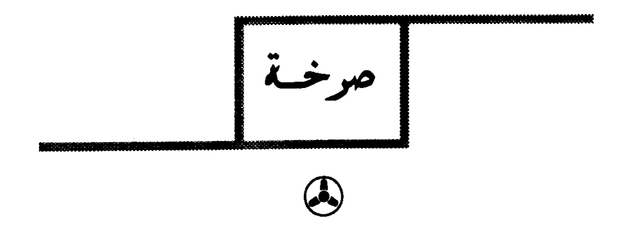
ولم يزل «غليونُهُ»

يرسمُ فى المدى

تواريخاً من الدخانْ

ثم فى دوائرٍ
يردّد الصدى
(ماكنتُ للأشجارِ ظالماَ)

⊛ ⊛ ⊛


صرخة

أوّلُ العمرِ صرخَةْ

آخرُ العمرِ صرخَةْ

إنّهُ الدربُ يدعو فلملم خطاكَ وسِرْ

.....

مجهدٌ ... والمدى حين أعطى أخذْ

ضحكت نجمةٌ

فإذا القلبُ يبكى اشتياقاً وللدمعِ حنْ

وعلى باب حبِّكِ كادَ يُجنْ

يسفحُ الآه شوقاً ويغزل من دمعهِ للحبيبةِ لحنْ

أبداً ترتمى فرحةٌ فوق صدر هواكِ وتغفو

فإن غفوتى عبَرت

دهشتى بدأت

أوّلُ الفرحةِ

أوّلُ المحنةِ

❂ ❂ ❂

كان إسراؤهم قصةً
قالها البحرُ للصخرةِ النائيهْ
همست موجةٌ
أنهم خبّأوا عندها سرّهم
قبلةٌ ساجيهْ
لمسةٌ حانيهْ
- خففى فأنا بعض أسرارهم
(قالت الصخرةُ)

❂ ❂ ❂

وارتحلنا ....
وياليت بعضَ الرحيلِ هناءْ
زادُنا حبُنا

والمدى ألفُ شمسٍ تضيء لنا

تكشف الخوفَ والزيفَ عن عشقنا

خطوتانِ .. وكشّر عن ليلهِ الدّربُ

وارتجفت واحةٌ عربيّهْ

خبّأت ألف عامٍ

حكايةَ قيسٍ وليلى

وأسفرَ عن محنةٍ نخلُها

وإذا الحقدُ غابةُ شوكٍ تطلُّ

أول الحب صرخهْ

آخر الحب صرخهْ

......

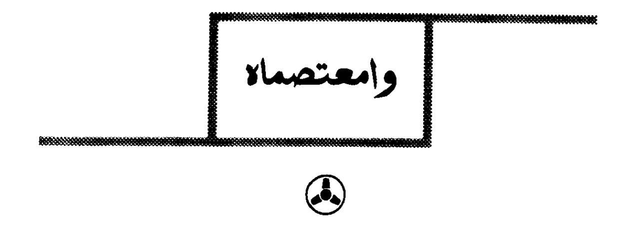
أبحثُ اليوم عنكِ وعنّى

وعن نبضاتٍ قديمهْ

وأغانٍ قديمهْ

هاهو البحر والصخرة النائيهْ
والنوارس فى صرخةٍ عاليهْ
تفزع العاشقينْ
لم تعدْ صخرتى
صخرتى
أوّلُ الحبّ صرخهْ
آخر الحبّ صرخَهْ

⊛ ⊛ ⊛


وامعتصماه

دمُنا دمُهمْ
إنّها قصةٌ صدئهْ
أن تصيح امرأةْ
(واهِ معتصماهْ)
فتدور الرحى
وتصير الدماءُ سيوفاً مصلصلة
تتشهّى الفدا
إنّها قصةٌ صدئهْ
دمُهم شأنهم
دمُنا شأننا
والذى مرّ مرٌ
فالزمانُ اختلفْ
والرجولةُ سيفٌ علاهُ الصدأ
حين تُشعل نارُ التتار الجددْ

فى نساءٍ حرائرْ

وصغارٍ بشائرْ

ويصيرُ الرجال بلا حيلةٍ وبغير نصيرْ

وعلى النار (صربٌ) يفحّون غلاً

يثير الدمارَ فيعمى الضميرْ

وعلى عجزنا نحن متكلون

فليكنْ هوَ ذاك الزمانُ الأخيرْ

كى نهيلَ الترابَ على ذلّنا

ونهيلَ السكوتَ على ذكرنا

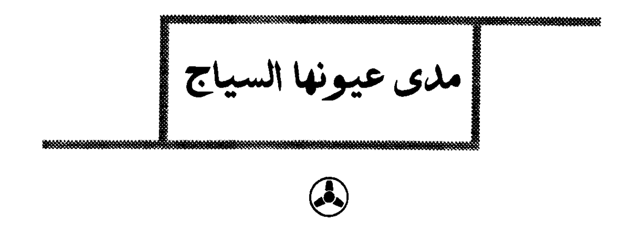
علّنا حين نصبح غيماً بعيداً

يشرق النبتُ حرّاً مريداً

وتدور الرّحى

وتدور

⊛ ⊛ ⊛


مدى عيونها السياج

ـ لتُرْفَعِ العروشْ

ـ لتسقطِ العروشْ

حديقةٌ تدور حول قصرها

وكرمةٌ

ثمارها يفيضُ من عصيرها الترفْ

وفى المدى سياج زهرها

ـ هو السحابُ ؟ ...

ـ ... ربّما

وربّما رفيفُ عطرها

تطلّ .. إذ تطلُّ نجمةٌ مشعشعَهْ

لا شئَ حول ثوبها سوى الثراء والدَّعَهْ

ـ أقصى مدىً لعينها السياجْ

ـ لترفعِ العروشْ

ـ لتسقطِ العروشْ

محاصرةْ
فألفُ كوخٍ حولها
كألفِ عينٍ حولها
على مشارفِ
النِعمْ
مشارفُ الألمْ
تضخَّمَت
تضخَّمت
فأصبحتْ نقمْ
- لتُرْفعِ العروشْ
- لتسقطِ العروشْ
مسافةٌ بينهما
بين السحابِ والترابْ
بين العذابِ والعذابْ
ما بين فكرٍ لم يجاوز الخطى

وبين فكرٍ لم يجاوزِ الخطأ
تحرّك الركامْ
ألبحرُ فاغرٌ شطوطه
فلم تعدْ مسافةٌ بين السحابِ والترابْ
- لتُرْفَعِ العروشْ
- لتسقطِ العروشْ
عمائرٌ ... عمائرٌ
حجارةٌ زهورنا
حجارةٌ قلوبنا
وألف ألف عين ثار فى جفونها الألمْ
تمدُّ أسهمَ النقمْ
- لتُرْفَعِ العروشْ
- لتسقط العروشْ

❀ ❀ ❀



أعناق النخيل

لم يبق أىٌ من جنودك يا «علىُ»
الخيلُ آفلةٌ
والجند نافرةٌ
وعلى المدى / الصحراءِ ... هل حفلوا بشئْ ؟
غفلتِ عيونُ الساهرينْ
فحديثكَ المطلول بالحب الحزينْ
متكسِّرٌ تحت العمائر والمداخنِ ...
... تحت أحقاد السنينْ

☮ ☮ ☮

لو كانت الأغصانُ تحملُ بعضَ أشواكِ الضميرْ
لتمزَّقت جثث النفوس الجارحهْ
لكنَّهُ قدرُ الشجرْ
يعطى الثمار لجارحيهْ
قدرُ الشجرْ !!!

☮ ☮ ☮

يا نخلة العمر النّدىْ

تبقين أنتِ

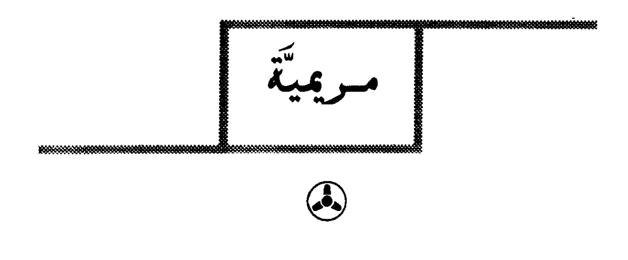
وتنتهى كل الشجيرات المريضة بالضغَنْ

التمرُ تمرُكِ والظلالُ ظلالُكْ

فالخيرُ معقودٌ بأعناق النخيلْ

⊛ ⊛ ⊛

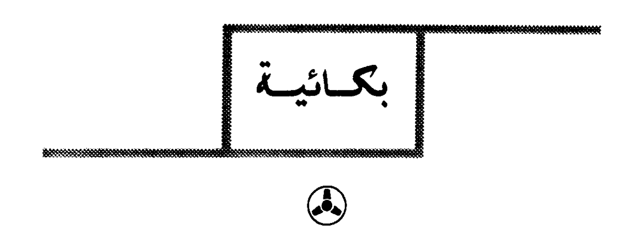



مريميّة

❂ ❂ ❂

التمرُ آياتُ الحقيقة فوق أشجار النخيلْ
مَنْ يحملُ القول الثقيلْ ؟
مَنْ يجمعُ التمرات حتى يقرأ المعنى
الجميلْ ؟

❂ ❂ ❂


بكـائيـة

بعض أشيائنا دون معنىَ

.....

زهرةٌ أطلقت حسنها عبقاً

فاستمالت يداً

قطفتها

ولم ترتجفْ

ـ إنها قطعةٌ من خدودِكْ

ـ أوَ تقطفنى مثلها ؟

ذبُلت بين طياتِ أيّامهِ

ونساها

وأتى عابرٌ

فرماها

......

بعضُ أحلامنا دون معنى

رجل أم ملَكْ ؟

يرتقى هرماً

كلّه أوجهٌ متعبَهْ

وعلى الأفقِ نهرٌ تلوّى

أوجهٌ تفغر الآن أعينَها

أعينٌ تحبس الآن صرختها

فالرجلْ

قارب الشمسَ ثمّ

احترقْ

......

إنّها دون معنى

أقبلتْ

أدبرتْ

كالرياح مراوغةٌ

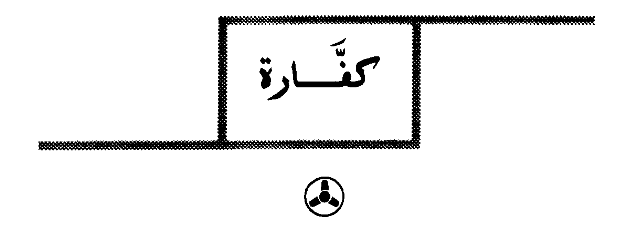
كالبحار مسافرةً

ودقائقها جثثٌ مهملةْ

والذى مرّ مرّ

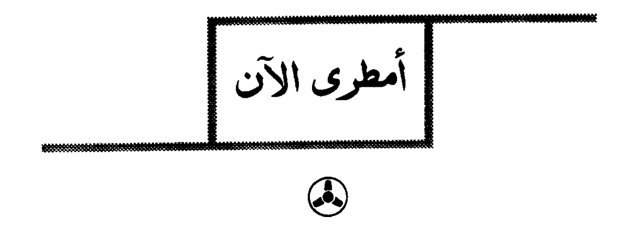
إنها دون معنىَ

⊛ ⊛ ⊛


كفَّـــارة

كفّارةُ الدفءِ المشعِّ إذا أحسَّ بذنبهِ
أن يرتضى حكم الغمام وينحنى
ليقبِّلَ السحب الشفيفةَ حوله
قد باع نوره مرّةً
للساكنين بحقدهم كهف الليالى الباردهْ
بعضُ الكواكب مثل أشجار الصحارى ..
ربما تُخفى الأفاعى بين أشواكِ الغصونِ
.. وربّما تُخفى العقارب تحتها
هذا اختيار التائهين فما اختياركَ
أنتَ
ياشمس الكواكب كلّها ؟

❀ ❀ ❀



أمطرى الآن

لحظاتٌ ثمّ تنداح الســـحــــابَهْ

ويفــورُ النبضُ .. ترتجُ الإجــابَهْ

مــالذى أخـفـيتِ فى قلب الليــالى

ليظلَّ البـــدرُ مــوصــول الكآبَهْ ؟

ظلُّ أشجارِكِ غولٌ .. دربُ آمالكِ سدٌّ .. وحدود القلبِ غابَهْ

مــا الذى علَّمــتِهِ للبــدر حــتى

يفغرَ النورَ فتخشاه السحابَهْ ؟

كــان كــالطفل نقــيّاً يملأُ البـيت

ضــجـيــجــاً وصــفــاءً ودعــابَهْ

....

وقــفـــةٌ ثمّ ترى الزهر شــقــيّاً

وترى فى كل إنســـانٍ عـــذابَهْ

....

أيّهـا النهـر الذى أغـرى شـفـاه

الرملِ بالأحـلام والخـمـر المذابَهْ

وردتى كـانت على ضـفـة روحى

تسـعِدُ القلب فـيـزداد رحـابَهْ

وردتى شـابت وأضنتـهـا قلوبٌ

ربّمـا أقـسى من الصـخْرِ صـلابَهْ

أيّهـا النهـر الذى أحـصى ليـالينا

على الأرض ولم يُغلق كـتـابَهْ

شـاهدٌ أنتَ علـى وردة حـبّى

وعلى من رام عطرى فـأصـابَهْ

....

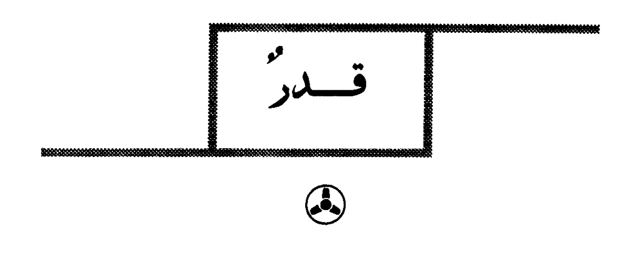
أمطرى الآن فـإن القـحط يدمى

والربا تهـفـو إلى دمع السـحـابَهْ

أمطرى الآن لعل النهـــر يشــــدو

للروابى بأهازيج الصـــبـــابَهْ

❂ ❂ ❂


قــدرٌ

مفعمٌ أنتَ بأحلامٍ كثيرةْ

بالمدى

بالصبحِ

بالأشجارِ

بالأرض المثيرةْ

إنّهُ فى بذرةِ التكوين أن تحيا طويلاَ

بادئاً مجدكَ بالحبِّ

وبالإيلامِ

⊛ ⊛ ⊛

كل شئٍ فى المدى بعضُ خيالكْ

ربّما أغراكَ بالإبحارِ

حتى لم يعدْ زورقُ

شكٍّ

من لياليكَ الخطيرةْ

شعلةٌ من نفحات ربّما ظلّ ضياها
بعدها عمراً طويلاَ
قدرٌ أن تتأنّى
قدرٌ أن تتجنّى
واجتياح الموجِ والأعصارِ أقدارٌ
مثيرةْ

⊛ ⊛ ⊛

الفهرس

لقـــاء الدمـــاء

The Meeting of Bloods

ترجمة :

الأستاذة الدكتورة أمانى توفيق

كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

The Meeting of Bloods

I yielded him my hand.
Efficienttly,
Swifftly,
He pricked my finger.
Blood errupted.
The doctor was taken back with amazment.
In front of him was a fountain
That branched to form
A palm tree in the horizon.



I yielded him my hand
He tearfully kissed my blood
And when his tears dried up
I beheld a palm tree
On his lip
Errupting ...



رقم الإيداع
١٠١٧٢ / ٩٧
I.S.B.N. الترقيم الدولى
977-5502-39-X